مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٨) العدد (٥)
الإصدار التاسع والعشرون
(١-٢٠) ٢٠٢٥

نشأة وتطور العمارة الدينية في واحة أريحا خلال الفترة البيزنطية (٣٢٤- ٦٣٨)

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

عوني محمد محسن شوامرة
طالب دكتوراة، وزارة السياحة والآثار الفلسطينية.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ نوفمبر ٢٠٢٥م

الملخص

تُعد واحة أريحا من أهم المراكز العمرانية في فلسطين خلال الفترة البيزنطية، إذ شكلت بدورها بيئة خصبة لنشأة وتطور النشاط الديني الرهباني، حيث برزت العمارة الدينية كعنصر أساسي في المشهد العمراني للمنطقة، مما يعكس التغيرات الدينية والسياسية والاجتماعية في تلك الحقبة، وضمت الكثير من الأديرة والكنائس والصوامع، والتي تجسدت فيها تلاقح العمارة والفنون المحلية مع الفنون والعمارة في الاقاليم المجاورة. تهدف الدراسة إلى إبراز العوامل الدينية والتاريخية والسياسية والاجتماعية التي أدت إلى نشأت العمارة الدينية في واحة أريحا، إلى جانب تسليط الضوء على بعض نتائج التنقيبات الأثرية التي كشفت بدورها عن مبانٍ دينية في أريحا وفهم طرزها المعمارية والفنية، علاوة على دراسة أنماط العمارة الدينية في واحة أريحا خلال الفترة البيزنطية من خلال تحليل أنماط الكنائس والأديرة وابراز الخصاص الفنية والمعمارية والزخرفية وربطها بالسياق التاريخي والديني الأقتصادي للمنطقة، وكذلك وضع إطار علمي كمنطلق لتوثيق العمارة الدينة في واحة أريحا. اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والمنهج الأثري الوصفي والتحليلي المقارن، مدعوما بالمسح الميداني ومراجعة المصادر التاريخية والمراجع الأثرية ذات الصلة. أظهرت النتائج تنوع الأبنية الدينية بين الأديرة والكنائس والكنس، بما يعكس التعددية الدينية والثقافية التي تميزت بها المنطقة. توصلت الدراسة إلى أن أريحا كانت مركزاً مهماً للحج المسيحي في الفترة البيزنطية لما تمتلكه من أماكن مقدسة ارتبط بالمسيح عليه السلام، علاوة على أن عمارتها الدينية عكست التفاعلات ما بين العمارة المحلية والعمارة البيزنطية الأوسع، خلصت الدراسة أيضا إلى أن العمارة الدينية في أريحا لم تكن مجرد فضاء للعبادة، بل لعبت دورا في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع المحلي.

الكلمات المفتاحية: واحة أريحا، الفترة البيزنطية، لورا، الكوينوبيوم، القرنطل، دير القلط.

Abstract

The Emergence and Development of Religious Architecture in the Jericho Oasis during the Byzantine Period (٣٢٤–٦٣٨)

The Jericho Oasis was one of the most significant urban centers in Palestine during the Byzantine period. It provided a fertile environment for the emergence and development of monastic religious activity, where religious architecture became a fundamental element in the urban landscape of the region. This reflects the religious, political, and social transformations of that era. The area included numerous monasteries, churches, and hermitages, in which local architecture and art merged with those of neighboring regions.

This study aims to highlight the religious, historical, political, and social factors that contributed to the rise of religious architecture in the Jericho Oasis. It also sheds light on some of the archaeological discoveries that revealed religious buildings in Jericho, aiming to understand their architectural and artistic styles. Furthermore, the research analyzes the patterns of religious architecture in the Jericho Oasis during the Byzantine period by examining church and monastery designs, emphasizing their artistic, architectural, and decorative characteristics, and relating them to the region's historical, religious, and economic context. The study also seeks to establish a scientific framework to serve as a foundation for the documentation of religious architecture in the Jericho Oasis. The study employs the historical, descriptive, analytical, and comparative archaeological methods, supported by field surveys and a review of relevant historical and archaeological sources. The findings indicate a diversity of religious buildings, including monasteries, churches, and synagogues, reflecting the religious and cultural plurality of the region.

The research concludes that Jericho was an important center for Christian pilgrimage during the Byzantine period and that its religious architecture reflected the interaction between local traditions and the wider Byzantine architectural milieu. It further concludes that religious architecture in Jericho was not merely a space for worship but also played a

vital role in the social, political, and economic life of the local community.

Keywords: Jericho Oasis, Byzantine Period, Laura, Coenobium, Quruntul, Deir al-Qilt.

*** المقدمة**

تعتبر أريحا من أقدم المدن في العالم وقد استمر فيها الاستيطان البشري من العصور الحجرية وحتى اليوم دون انقطاع لما تتمتلكة الواحة من مقومات مناخية واقتصادية وزراعية وجغرافية قل نظيره، وهي أيضاً مركز هاما للحياة الدينية في الفترة البيزنطية (٣٢٤– ٦٣٨)، زادت أهمية أريحا مع اعتماد الدين المسيحي كدين رسمي للإمبراطورية، وارتباطها بمسارت الحج المسيحي الوافد إلى الأرض المقدسة، مما ساهم بدوره في تأسيس شبكة من المنشآت الدينية من كنائس وأديرة ومرافق خدماتية جعلت من واحة أريحا فضاءا معماريا ودينيا فريداً، إلى جانب العمارة المسيحية توجد دلائل لكنُيس يهودي تضم أرضيته زخارف فسيفسائية، مما يعكس التعددية الدينية والتعايش ضمن الفضاء العمراني للواحة.

*** مشكلة الدراسة**

على الرغم من العمارة الدينية البيزنطية في فلسطين بشكل قد حظيت باهتمام بحثي واسع، ولكن الدراسات المتخصصة التي تناولت عمارة أريحا الدينية بشكل محدود ومتناثرة، بعضها بشكل وصفي لنتائج تنقيبات أثرية، أو التركيز على القصة الدينية المرتبطه بالمسيح عليه السلام. ومن هذا المنطلق تمكن المشكلة في غياب دراسة شاملة تفسر نشوء العمارة الدينية في واحة أريحا، وتظهر امتزاج التأثير الثقافي والحضاري المحلي والبيزنطي حيث صُهرت كافة العناصر في بوتقة فبزغت طرز معمارية وفنية جديدة. وبناءا على المشكلة، تطرح الدراسة السؤال الرئيس الآتي: ما هي العوامل التي أسهمت في نشوء العمارة الدينية خلال الفترة البيزنطية، وكيف انعكست تلك العوامل على خصائصها التخطيطية والمعمارية والفنية.

*** فرضية الدراسة**

تفترض الدراسة أن نشأة العمارة الدينية في واحة أريحا خلال الفترة البيزنطية لم تكن نتيجة انتشارة الدينية المسيحي فحسب، بل جاءت ثمرة لتفاعل مركب بين العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية والبيئية، أدى نهضة معمارية وفنية جمعت بين السمات البيزنطية والمحلية.

*** أهمية الدراسة**

تتمثل أهميتها في كونها تسد إلى حد ما فجوة معرفية في الدراسات الأثرية المعمارية حول المباني الدينية في واحة أريحا، إلى جانب إبراز واحة أريحا كمركز غني بالعمارة الدينية في الفترة البيزنطية.

*** اهداف الدراسة**

إبراز العوامل الدينية والتاريخية والسياسية والاجتماعية التي أدت إلى نشأت العمارة الدينية في واحة أريحا، إلى جانب تسليط الضوء على بعض نتائج التنقيبات الأثرية التي كشفت بدورها عن مبانٍ دينية في أريحا، علاوة على دراسة أنماط العمارة الدينية في واحة أريحا خلال الفترة البيزنطية من خلال تحليل أنماط الكنائس والأديرة وابراز الخصاص الفنية والمعمارية والزخرفية وربطها بالسياق التاريخي

والديني الأقتصادي للمنطقة، وكذلك وضع إطار علمي كمنطلق لتوثيق العمارة الدينة في واحة أريحا.

*** منهجية الدراسة**

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي من خلال تحليل النصوص البيزنطية ذات الصلة، اضافة الاعتماد على المنهج الأثري الميداني ودراسة المعطيات الاثرية المعمارية المرتبطة بأمكان العبادة، إلى جانب الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي والمقارن من خلال وصف البقايا المعمارية وتحليل عناصرها.

*** الدراسات السابقة**

شهدت العقود السابقة عددا من الدراسات والأبحاث والتقارير حول بعض المعالم الدينية البيزنطية في أريحا مثل: أوغوستينوفيتش (Augustinovic, 1951)وبراكي (Baramki. 1936) هيرشفيلد (Hirschfeld. 1993)، وشارون Sharon. (2004)، طه (Taha, 2011) جينينغز (Jennings, 2015) إلا أن الدراسات ركزت غالبا على مواقع منفردة سواء لدير أو كنيسة دون الخوض في توضيح شمولية المشهد العمراني في واحة أريحا، وهو يسعى المقال معالجته.

١- جغرافية المكان

١- الموقع: تقع أريحا على بعد (٣٨) كم شمال شرق القدس، وعلى بعد (١٣) كم غرب نهر الأردن،(١٢) كم شمال البحر الميت، وتنخفض بدورها عن مستوى سطح البحر بما يقارب(٢٣٠)م، وهي جزء مما يعرف بوادي الصدع العظيم (الشق الآسيوي الإفريقي)، وتعتبر أريحا واحة دائمة المياه والخضرة، حيث تنتشر الينابيع وعيون المياه فيها ومنها: عين السلطان وعين الديوك وعين النويعمة، وتمتاز بخصوبة تربتها لاحتوائها على مادتي الطين والطمي(حمودة، وآخرون، ١٩٩٠، ١٦- ٢١، جبارة، ٢٠١٥، ١٠١). ترتبط أريحا مع محيطها من خلال العديد من الطرق والممرات منها: طريق القدس- أريحا، وينطلق من القدس ثم العيزرية، ويمر بمحاذاة الخان الأحمر ثم وعبر طريق وعرة على ضفة واد القلط الجنوبية، ومن ثم منطقة تلول أبو العلايق وصولاً إلى مركز أريحا اليوم، وتتفرع الطريق من مركز أريحا إلى عدة اتجاهات، فالطريق الجنوبي يتجه نحو الضفة الشرقية من البحر الميت وبإتجاه جنوب الأردن، ومن ثم إلى الجزيرة العربية، وطريق من الضفة الغربية من البحر الميت ويرتبط مع النقب الفلسطيني ومن ثم إلى غزة، والطريق الشرقي بأتجاه منطقة المغطس ويستمر في الأراضي الأردنية، أما الطريق الشمالي فيربط أريحا بشمال فلسطين من جهة الغور، وهو ما يعرف بطريق بيسان، في حين أن الطريق الشمالي الغربي ينطلق من مركز أريحا باتجاه النويعمة ثم باتجاه العوجا وصعودا بإتجاه بلدة الطيبة وصولا إلى رام الله (شوامرة، ٢٠١٨، ٨)، وبالتالي تقسم الطرق التي تربط أريحا مع محيطها إلى ثلاث أنماط رئيسة، وهي طريق الغور، والطريق الجبلية، وطريق الحج (Conder & Kitchener, 1883. vol. III, 165-170).

٢- التسمية: أريحا اسم مشتق من الكلمة الكنعانية يرحو(Yarah)، ويعني القمر، لربما تكون اسم إله القمر يرخ Yarikh(Schreiber et al, 2003, 141) وتيمناً به سميت أريحا بهذا الاسم من قبل الكنعانيين الذين أسسوا

المدينة وهم سكانها الأصليون، وقد يكون سبب التسمية راجع لرائحة العطور التي كانت تفوح من حدائقها(Guérin, 1874, 132–133.)، وفي العربية تعرف أريحاArīḥā وتعنى العطر والرائحة وهي أيضاً مستمدة من الجذر الكنعاني ريحا Reaḥ (Ring et al, 1994, 367–370; Bromiley, 1995, 1136)أما في اللغة السريانية فيعني الأريج والرائحة (حمودة وآخرون، ١٩٩٠، ١٦؛ Schreiber et al 2003, 141)، ذكرت أريحا في النقوش والمصادر التاريخية والجغرافية والأدبيات بصيغ مختلفة، ولكن المعنى واحد، ففي الفترة الرومانية ذكرها سترابو "Strabo" بـــ "Hiericus" (Strabo, 1917, Vol . II, 291–293)، في الفترة البيزنطية ظهرت اسمها باليونانية على خريطة مادبا يرخو (Guérin, Ericha 1874, 133). (شكل: ١).

٢- انتشار المسيحية ودورها في إزدهار وتعدد الطرز المعمارية لمباني الدينية: لا شك أن الفترة البيزنطية في أريحا تمتد منذ أوئل القرن الرابع الميلادي إلى ما يقرب من منتصف القرن السابع(٦٣٨م)، وقد بدأت تلك الفترة بشكل فعلي عندما اعتلى الإمبراطور قسطنطين Constantine سدة الحكم عام ٣٢٤م تقريباً، حيث قرر اعتماد المسيحية دين رسمي للدولة البيزنطية، من خلال مرسوم ميلانون Edict of Milan واتخذ القسطنطينية مقراً لإدارة حكم الإمبراطورية البيزنطية (Magness, 1993, 33)، لم يسعفنا وصف يوسابيوس للمدينة في تحديد موقع أريحا البيزنطية بشكل دقيق، ولكنها وبالتأكيد تختلف عن موقع المدينة في الفترة الرومانية، بدليل ما ذكره ثيودوسيوس ٥٣٠م عن موقعها الذي يبعد ميلين عن نبع عين السلطان، كذلك ظهور مدينة أريحا على خارطة مادبا الفسيفسائية محاطة بأبراج وإلى الشمال منها تظهر عين ماء ومع بناء تذكاري للقديس بولس، وتتنشر حولها أشجار النخيل. من خلال الربط بين شهادة ثيودوسيوس وخريطة مادبا نلاحظ فعلاً أن المدينة البيزنطية كانت تبعد ميلين عن عين السلطان، وهو ما يتوافق مع موقعها الحالي. وبالتالي فالمباني الحالية تقوم على أنقاض أريحا البيزنطية (Augustinovic, 1951, 65- 66)، قسم البيزنطيون فلسطين مع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس فلسطين إلى ثلاثة أقسام وهي فلسطين الأولى وعاصمتها قسيارية، وفلسطين الثانية عاصمتها بيسان(سكيثوبوليس) أما فلسطين الثالثة فكانت عاصمتها البتراء، وكانت أريحا تقع إدارياً ضمن فلسطين الأولى(أبو الرب، ٢٠٠٢، ٥٠- ٥٥).

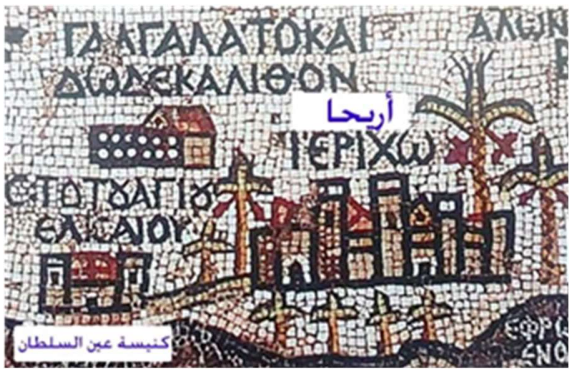

شكل (١) أريحا وكنيسة عين السطان- خارطة مادبا (المصدر: Piccirillo & Alliata, 1999)

تعتبر أريحا ومحيطها ولا سيما الكهوف والأودية إحدى أهم المواقع التي عاشت فيها المجتمعات الدينية المسيحية (المجتمعات الرهبانية) وذلك بسبب قربها من مدينة القدس، ونهر الأردن(المغطس) ويقوم تنظيم المجتمعات الرهبانية

Monastic communities على أسس وأنماط مختلفة، فالنمط الأساسي للرهبنة ويُعرف بالناسك an anchorite وكان يعيش في عزلة كاملة ودون الارتباط بمجتمع الرهبان، أما النمط الآخر فهو عبارة عن دير للنساك المنعزلين يطلق عليه لورا a loura وتعني باليونانية "الممر" في إشارة إلى الطرق أو المسارات التي تربط جماعات الرهبنة بالكنيسة، وتتكون من نساك كأفراد يعيشون في عزلة داخل صوامع متفرقة أو كهوف، ولكن يجتمعون في يومي السبت والأحد لأداء الصلاة وممارسة طقوس العبادة بشكل جماعي، لذا ارتبط اللورا بمواقع الخلوات على طول الطريق المؤدي إلى المبنى الرئيس، ويتكون اللورا من عنصرين أساسيين هما المبنى المركزي، الذي يضم الكنيسة، والملحقات للكنيسة من مباني ومنافع أخرى وخلوت للرهبان (Magness, 2012, 342; Hirschfeld, 1993, 152- 154.

أظهرت المكتشفات الأثرية عن وجود ما يقارب العشرين لورا منتشرة في برية القدس خلال الفترة البيزنطية، نصفها وجدت على المنحدرات الصخرية (Hirschfeld, 1993,152- 154). أما النمط الأخير فهو شكل أو نمط الكوينوبيوم Coenobium وتعني باليونانية "الحياة الجماعية"، يوجد حوالي أربعين دير من هذا النمط منتشرة في برية القدس، خمسة وعشرون منها ذات نمط البناء المألوف ومشيدة على أراضٍ مفتوحة، بينما العدد الباقي في المنحدرات الصخرية، يتألف مجتمع الكونيوبيوم من مجموعة من الرهبان يعيشون معاً داخل مجمع مغلق يشمل كنيسة أو مصلى صغير chapel وأماكن للمعيشة، وصوامع وخلوات، وغرفة طعام ومخازن وصهاريج مياه، بالإضافة لمنطقة خدمات وحدائق أو أراضي زراعية، وكان أعضاء كوينوبيوم يعملون ويصلون ويتناولون العشاء معا ضمن جدول زمني محدد يتميز الكوينوبيوم العادي بمخطط مربع الشكل يحيط به جدران قوية، مما يمنحه مظهر القلعة، أو الحصن، ويتكون من فناء مفتوح محاط بغرف، إذ يعتبر الفناء المفتوح كمصدر للضوء والتهوية، تم مراعاة الفصل الوظيفي في التصميم الداخلي، حيث فصلت المنطقة المخصصة للعبادة ومساكن الرهبان عن منطقة الخدمات والمخازن والاسطبلات التي توجد عادة بالقرب من مدخل الدير لاسباب تتعلق بالراحة والهدوء إلى جانب التحميل والتفريغ للبضائع التي تدخل وتخرج من مخازن الدير.

ولعل من أهم العناصر المشتركة في معظم الأديرة هو الممر الرابط بشكل مباشر ما بين الكنيسة وقاعة الطعام، كون تناول الوجبة المشتركة في قاعة الطعام هي بمثابة استمرار لمراسيم الصلاة في الكنيسة، لأجل ذلك كانت قاعة الطعام تقع في محيط الكنيسة وتتصل معها من خلال ممر مغطى أو فناء مفتوح (Hirschfeld, 1993,152- 154). منذ مطلع القرن الرابع ومع بدايات نشأة الإمبراطورية البيزنطية اكتسبت أريحا موقعاً دينياً مرموقاً بعد مشاركة الأسقف ياناريوس bishop Janarius، في مجمع نيقية الذي عقد عام ٣٢٥ م، فقد تمكنت مجموعة من الأساقفة المؤثرين ترأس الكنيسة المحلية وضمن ائتلاف مع القدس (Bagatti, 2002, 95; Guérin, 1874, 145). بشكل عام وطوال الفترة البيزنطية إنتشرت الكنائس والأديرة والنُزل

العامة والمستشفيات بشكل كبيرة في شتى أرجاء فلسطين، بينما المباني العامة التي كانت سائدة في الفترة الرومانية قد تراجعت بشكل كبير واختفت مثل المسرح وميدان سباق الخيل hippodrome وغيرها(Zbigniew, 2006, 74)، ذُكر في كتب سير الرهبان المعاصرين في الفترة البيزنطية أمثال أنتوني الكوزيبي Anthony of Choziba, وحنا موشوس John Moschus، وكذلك سيريل البيساني Cyril of Scythopolis أن هنالك العديد من المباني التي شيدت في أريحا ومحيطها، من أديرة، ومستشفى، وكذلك نُزل وصوامع أو كهوف للنساك في التلال المطلة على المدينة (Wilkinson, 2002, 313- 314).

عام ٥٦٠م تقريبا زار بروكوبيوس Procopius أريحا وذكر أن جستنيان قد أعاد ترميم نُزل أو تكية كنيسة العذراء في أريحا، بالإضافة لكنيسة بئر القديس اليزايوس " St. Elisaeus" (Palestine Pilgrim's Text Society,1897, 147) ، وفي عام ٥٧٠م تقريباً زار حاج من بياكنزا The Piacenza Pilgrim(شمال أيطاليا) الأرض المقدسة، وذكر عين السلطان، وقال أنها عين الماء التي حلاها أليشع بعد أن كانت مالحة. وبجوار العين يزرع للعنب ويستخدم في صنع النبيذ ليعطى لمرضى الحمى، وكذلك تأتي من هنالك التمور بوزن الرطل، وذكر أنه أخذ بعضاً منها إلى المنزل وأعطى واحدة للورد باتريوس Paterius، وكذلك تأتي أربعون رطلا من الكباد(الأترج) أو الحمضيات، وهو موطنها الأصلي، ويبلغ طولها قدمين وسمكها بوصتين، إلى جانب وجود الكرمة، ففي يوم صعود الرب تباع سلال عنبها على جبل الزيتون، وفي عيد العنصرة تباع جرار مملوءة بنبيذ أريحا(Wilkinson, 2002, 137)

لعب الحج دوراً هاما في إنتعاش الاقتصاد المحلي الفلسطيني بشكل عام، وبالدرجة الأولى على مدن الحج المسيحي مثل القدس وبيت لحم، وبشكل ثانوي على بعض المناطق ولا سيما الريف. كان الحجاج يميلون إلى التنقل في طرق محددة ومعروفة جيدًا لتنقل بين الأماكن المقدسة. ومن أهم تلك الطرق – طريق الحجاج الرابط بين القدس وأريحا والأردن. وبدون أدنى شكك فإن تأثير الحجاج على المناطق القريبة من الأماكن المقدسة كان له تأثير اقتصادي مهم نوعاً ما، ولكنه كان بحاجة للمزيد من التطور الاقتصادي الأوسع. اعتبرت الأديرة أيضاً عاملاً رئيسياً في توسع وإنتعاش وتطوير اقتصاد فلسطين في الفترة البيزنطية، وتشير الدراسات الحديثة أن الأديرة البيزنطية قد انتشرت في شتى أرجاء فلسطين في النقب والسهل الساحلي والغور والمناطق الجبلية، بعضها كان معزولا ولكن غالبيتها شيدت بشكل رئيسي في مناطق الريف الفلسطيني، معظم تلك الاديرة تعود بتاريخها إلى منتصف القرن الخامس الميلادي وما بعده (Bar, 2004, 315– 316).

٣- التركيبة السكانية: خلال القرن الخامس والسادس الميلاديين حافظت فلسطين على طابعها الكنعاني واستمرار وجود الفلسطينيين سكانها الأصليين الذين كانوا يتحدثون في تلك الفترة بعدة لغات وهي: اللغة الآرامية واللغة السريانية، إضافة إلى اللغة اليونانية، علاوةً على استخدام اللغة اللاتينية

أحياناً بهدف التواصل مع مؤسسات الدولة. بالإضافة إلى سكان فلسطين الأصليين كان يوجد بعض العناصر المقدونية واليونانية والرومانية وغيرها (زيادة، ١٩٩٠، ٢٤٢). غلب على أهل فلسطين الإيمان بالطبيعة الواحدة(المونوفيستية) بعكس ما كانت تقول به الكنيسة الرسمية في القسطنطينية، وبالتالي شهدت الفترة البيزنطية المتأخرة حالة من النزاع ما بين أهل فلسطين والسلطة العليا البيزنطية، حيث منعت بيزنطة التكريس لرجال الدين اليعاقبة(نسبة ليعقوب البرادعي) القائلين بالطبيعة الواحدة، بهدف إجبارهم على التخلي عن تلك الطريقة (زيادة، ، ١٩٩٠، ٢٤٢)، إلا أن أتباع الطريقة لم يتخلوا عن نهجهم الديني، فأقاموا كنائس خاصة عرفت باسم الكنيسة اليعقوبية، وفي عام ٥٤٢م نال الراهب يعقوب البرادعي اعتراف الإمبراطور كأول أسقف مونوفستي، في المقابل انحازت طائفة من أهل فلسطين إلى جانب الكنيسة الرسيمة ممثلة بالإمبراطور البيزنطي، فأصبح أتباعها يعرفون باسم الملكية كونهم أصبحوا من أتباع الملك (عثامنة، ٢٠٠٠، ١٣١).

٤- أهم المواقع والمعالم الأثرية البيزنطية في واحة أريحا(شكل: ٢): تنشر في واحة أريحا الكثير من المواقع والمعالم الأثرية البيزنطية ولا سيما الأديرة والكنائس والصوامع بشكل لافت، ساهم التطور والاستقرار الاقتصادي في انتعاش الحالة العمرانية فيها خلال الفترة البيزنطية، فأصبحت أريحا أسقفية في تلك الفترة، وانتقل الثقل الإداري من تلول أبو العلايق ليصبح مركز أريحا الحالي هو المركز الإداري والحضري للواحة بشكل عام، فكان تل الحسن هو المركز الرئيس لأريحا، وقد اكتسبت أريحا أهمية كبرى عند الحجاج المسحيين، فأقيمت في أريحا الأديرة والكنائس إلى جانب انتشار الاستيطان بشكل لافت في الكثير من المواقع ضمن مساحات واحة أريحا مثل: تل أبو هندي، وخربة النتلة، تل دير أبو غنام، كنيس تل الجرن، تل القوس، خربة المغفير، دير القرنطل، ودير القلط. ومن أهم تلك المواقع:

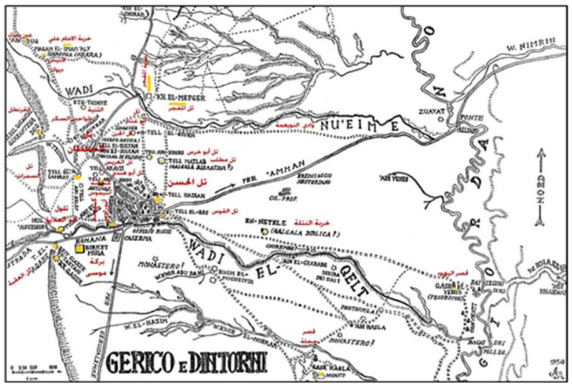

شكل (٢) يظهر توزيع المواقع الاثرية في واحة أريحا (المصدر:الباحث بتصرف عن (Augustinovic. 1951)

١- دير القلط: يعرف أيضاً بدير مار جرجس، ودير القديس جورج الكوزيبي، يقع إلى الغرب من مدينة أريحا، أسس الدير على يد خمس رهبان ذوي الأصل السوري وهم بروموس، إلياس، جانيوس، آياس، وزينون، حيث بنى بروموس صومعة (خلوة) صغيرة كانت بمثابة نقطة لجذب الرهبان الآخرين بنوا كنيسة صغيرة ومبانٍ أخرى، كانت بمثابة مكان للدفن، أما باقي أجزاء الدير فقد بناها يوحنا الطيبي John of Thebes ويُعرف أيضاً القديس يوحنا الكوزيبي Saint John of Choziba في العقد الثامن من القرن الخامس، وبالتالي بني الدير على مرحلتين الأولى على يد الرهبان السوريين الخمس، والثانية على يد يوحنا الطيبي(

Hirschfeld, 1990, 29-30; Pringle, 1993,183)، بينما يعزوا البعض أن البناء الثاني لفترة الامبراطور جستنيان(٥٢٧- ٥٦٥)، والذي قام ببناء واسع وعظيم بالدير ما زالت بقاياه ظاهرة(Sharon, 2004, Vol. III, 74- 78) مع نهاية القرن الخامس تغير نمط الدير من منسك منعزل Loura إلى كوينوبيوم Coenobium أي كمكان مفتوح للحياة الجماعية، ففتحت أبوابه أمام الزائرات، ويشر هذا التطور إلى استعداد الرهبان لاستقبال الحجاج والمسافرين، ازدهر الدير مع نهاية القرن السادس خلال حياة القديس جورجيوس الكوزيبا of St. George Choziba، والذي توفي عام ٦٢٠م. عام ٦١٤ تعرض الدير للتدمير خلال الاحتلال الفارسي، طرأ عليه العديد من التغيرات ولا سيما إعادة بناء واسعة النطاق في العصر الحديث من قبل الراهب كالينيكوس، وهو راهب يوناني، عام ١٨٧٨. وتم الانتهاء منه عام ١٩٠١، وأعطى الدير مظهره الحالي. أضاف تيموثاوس الأول، بطريرك القدس، برج الجرس عام ١٩٥٢. يتكون الدير من ثلاث مستويات: المستوى الأول وهو العلوي عبارة عن كنيسة ومغارة مخصصة للقديس إلياس. أما المستوى الثاني وهو الرئيسي، ويضم كنيستي القديسين يوحنا وجرجس الكوزيبى، بالإضافة إلى الكنيسة الرئيسية المخصصة للسيدة العذراء. ويتكون المستوى الثالث من المدخل القديم وأقبية التخزين وقبور لخمسة رهبان سوريين، الذين كانوا أول من استقر في هذا الجزء من الوادي ما بين ٤٢٠ – ٤٣٠م Hirschfeld. 1993. p.152; Sharon. 2004. Vol. III. pp. 74- 78) وفي القرن الثامن الميلادي ربط الراهب أبيفانيوس موقع الدير بقصة والدي العذراء يواكيم وحنه (Pringle, 1993, 183) ، يعد الدير من الأيرة المهمة في واحد أريحا حيث تواصل استخدامه بشكل مستمر تقريبا منذ بناءه وحتى الوقت الحاضر

٢- دير القرنطل (جبل التجربة) يقع على بعد ٤ كم شمال غرب مدينة أريحا، وعلى مقربة من تل السلطان وطواحين السكر. ارتبط جبل القرنطل بقصة صوم المسيح عليه السلام في الموقع لمدة اربعين يوماً، يرتفع الدير تقريباً ١٠٠٠ قدم عن المنطقة السهلية في الجهة الشرقية للدير، بُني الدير على قطع صخري ومنحدر خطر، في القرن الثاني عشر بنيت كنيستين في المواقع أحداهما داخل الدير والأخر بينت ضمن قلعة على قمة جبل الدير، البناء الحالي للدير يعود لعام ١٩٠٤(Guérin, 1874, 42) تحيط به سلسلة الكهوف الواقعة على جانبي جبل القرنطل، وقد عاش فيها النساك والرهبان خلال الفترة البيزنطية (Augustinovic, 1951,123). يشكل دير القرنطل أحد أهم الركائز الدينية في واحة أريحا إذ يتمتع بقداسة استثنائية لإرتباط المكان باليسوع المسيح عليه السلام، بالاضافة إلى الطريق التي سلكها اليسوع من الدير وصولا لشجرة زكا التي تتوسط أريحا اليوم واستضافة زكا العشار له حسب الكتاب المقدس عزز ذلك مكانة أريحا ومنحها قيمة دينية ذات قداسة، ومما زادها قداسة قربها من المغطس الذي تعمد فيه المسيح ووقوعها على طريق الحج المسيحي المقدس.

٣- دير المسكوب (شكل: ٣): يقع إلى الشمال من أريحا على طريق شارع عين السلطان، وهو عبارة عن دير أثري – لا توجد فيه كنيسة حاليا- فيه آثار كنيسة مهدمة منذ ٧٠عام، وتبلغ مساحة الدير ١٠دونمات، ويتبع الدير حديقة واسعة مزوعة بالأشجار، يضم الدير ١٣ غرفة للراهبات والعمال، ويصرف على الدير سيدة روسية يقال أنها أخت قيصر روسيا الأخير(حمودة، وآخرون، ١٩٩٠، ٥١). في العام ١٨٨٣ قام الراهب الروسي أرشمندريت أنطونين كابوستين Archimandrite Antonin Kapustin بالتنقيب في الموقع وكشف عن أرضية فسيفسائية تعود للفترة البيزنطية، (Jennings, 2015, 46) ، وفي وقت لاحق عام ١٨٩٤ أجرى ف. ج. بليس F. J. Bliss مسحاً طبوغرافيا لسهل أريحا. وأشار إلى وجود تراكمات كبيرة على "الممتلكات الروسية شمال غرب الفندق، تم التنقيب في الطرف الشرقي، عُثر على باب في الجهة الشرقية يفضي إلى ساحة مرصوفة بالفسيفساء وبها حوض صغير بمساحة ٣ أقدام مربعة ومحاطة بجدار ارتفاعه ٢٠ بوصة، وترتبط مع انبوب للتصريف، وخلف الساحة توجد الأرضية المرتفعة، يتم الوصول إليها عبر درج وهي تعود لنفس الفترة، ولكن توجد أرضية أخرى تعود لفترة لاحقة، من الواضح أن البناء كان من طوب اللبن والحجارة، في منطقة القطع، وفي الجهة الغربية تم الكشف عن جدران حجرية وأعمدة، وذكر أن الآثار التي شاهدها في الموقع تعود بتاريخها لفترة التي بنيت فيها خربة المفجر(Bliss, 1894,181). التنقيبات الأثرية المشتركة ما بين وزارة السياحة والآثار ومعهد الآثار التابع لأكادمية العلوم الروسية في أرض المتحف الروسي عام ٢٠١٠، فقد تم الكشف عن أرضيات فسيفسائية ملونة، ومنشآت ومبانٍ، ونظام مائي وغيرها، إلى جانب العثور على لقى أثرية تعود لفترات مختلفة: الفترة الرومانية، الفترة البيزنطية، الفترة الأموية، وكذلك فترة العصور الوسطى، والفترة العثمانية (Taha, 2011 286- 287). دون أدنى ريب يشكل موقع الدير امتداد طبيعي لتل الحسن الذي شكل نواة المدينة البيزنطية في واحة أريحا.

شكل (٣) دير المسكوب تظهر البقايا المعمارية والأرضيات الفسيفسائية (المصدر: كتيب أريحا البيزنطية: ٢٠١٠)

٤- دير أبو غنام (شكل: ٤): يقع على بعد ٣كم شمال أريحا وعلى الطريق الرئيس الذي كان يربط أريحا ببيسان، وهو يقع بدوره أيضاً على بعد ٢٠٠ تقريباً جنوب غرب خربة المفجر. فسر بليس الموقع في البداية كخان ثم يتراجع عن تفسيره، وذلك بالاستناد على اسم الموقع دير أبو غنام لربما يكون الموقع عبارة عن دير صغيرا وليس خان (Bliss, 1884, 87)، عام ٢٠٠٤ أجرت وزارة السياحة والآثار حفرية انقاذية كشفت بدورها عن وجود كنيستين ضمن مجمع دير تعودان للفترة البيزنطية، لم يبق من أبينة الدير سوى الأساسات.

الكنيسة الأولى: رصفت أرضيتها بفسيفساء ملونة ضمت زخارف هندسية قوامها صلبان صغيرة، الكنيسة الثانية: وتقع إلى الجنوب من الكنيسة الأولى، ورصفت أرضية الكنيسة بالفسيفساء الملونة (الأحمر، الأسود، والرمادي والأبيض)، وقد تميزت تقنية بناء الكنيسة بالدقة أكثر من الكنيسة الأولى، حيث أعيد استخدام الكنيسة الأولى في الفترة الصليبية، حيث يوجد ثلاث مراحل من البناء في تلك الكنيسة (Taha, 2011, 287- 288)

شكل (٤) الأرضيات الفسيفسائية في دير أبو غنام (المصدر: أرشيف وزارة السياحة والآثار الفلسطينية)

ما تبقي من الأرضيات الفسيفسائية الملونة فقط في أرضيات ثلاث غرف، علاوة على وجود درج يؤدي إلى غرفة تقع فوق أرضية الغرفة الشمالية، وقد رصفت أرضيتها بالفسيفساء البيضاء، حيث أضيفت في فترات لاحقة بإرتفاع ٨٠سم. أما الأرضيات الفسيفسائية للغرف فهي على النحو التالي: الغرفة الشمالية: أبعادها ٥×٣ م، رصفت أرضيتها بالفسيفساء باللونيين الأبيض والأسود فقط، وهي تضم بعض الزخارف الهندسية تفصل بينها أشرطة أو خطوط طولية فسيفسائية سوداء من الشرق إلى الغرب، وفي الوسط توجد زخارف على شكل الصليب،الغرفة الوسطى: أبعادها ٣.٤ × ٢.٩ م وهي امتداد للغرفة الشمالية في الأصل، وكان يفصل بينهما جدار، ويلاحظ أمتداد لنفس الزخارف الفسيفسائية، ولكن تم إزالة الجدار الفاصل في فترة لاحقة ورصفه بفسيفساء بطريقة عشوائية، وقد ضمت بعض الزخارف البسيطة على شكل صليب. الغرفة الجنوبية: أبعادها ٤× ٢م، وتمتاز أرضية الغرفة بالفسيفساء المتقنة والمنظمة الشكل حيث ضمت زخارف منها زخارف على شكل دوائر على خلفية رمادية، وضم الجزء الشرقي من الغرفة سجادة فسيفسائية تحوي زخارف هندسية قوامها مربعات تربط بين زواياها خطوط مشكلة تصاميم ثمانية الشكل وبين فراغاتها يوجد شكل معيني (تقرير التنقيبات- وزارة السياحة والآثار الفلسطينية، رام الله، ٢٠٠٤). تشير الدلائل الاثرية الفخارية أن الدير كان مهجورا خلال الفترة الأموية وقد اعيد استخدام للسكن في الفترة العباسية.

٥- دير حجلة: يقع على مسافة ٣كم من المخاضة (نهر الاردن)، ويُعرف الدير باسم مخاضة حجلة، وكذلك دير مار يوحنا حجلة، ويطلق عليه الرهبان الأرثوزكس دير جيراسيموس Gerasimus Monastery of St. بُني الدير عام ٤٥٥م، وطرأ عليه توسيعات في القرن السادس الميلادي، حيث ورد ذكره في خارطة مادبا التي تعود بتاريخها لنهاية القرن السادس الميلادي، أعيد استخدامه في الفترة

الصليبية. ثم أعيد بناء الدير مرة أخرى في نهاية القرن التاسع عشر أنقاض الدير الصليبي، ويضم الدير أرضيات فسيفسائية (حمودة، وآخرون، ١٩٩٠ ٥١؛ Conder & Kitchener, Vol. III, 178; Bouchain (ed). 1999,119). على الأرجح أن الدير ظل مهجورا طوال الفترة الاسلامية المبكرة وحتى الفترة الصليبية.

٦- كنيسة تل الحسن (شكل:٥): تقع في مركز مدينة أريحا الحالية، ذكرها بروكوبيوس Procopius ٥٦٠م تقريبا، حيث ذكر أن جستنيان قد رمم كنيسة العذراء بأريحا، دون ذكر إي تفاصيل عن الترميم، وتجدر الاشارة إلى أن جستنيان قد قام بأعمال ترميم للكنائس على نطاق واسع في فلسطين (Baramki, 1936, 88; Augustinovic, 1951, 84)، جرت أولى التنقيبات الأثرية الإنقاذية في الموقع في شهر فبراير سنة ١٩٣٤، حيث أظهرت وجود مرحلتين من الإستيطان في الموقع تعودان للفترتين البيزنطية المبكرة والفترة الأموية. تمثلت الفترة البيزنطية في كنيسة ذات تخطيط بازيليكي مكون من رواق أوسط (صحن) nave، وممرين aisles من الجهة الشمالية والجنوبية، بالإضافة لرواق وغرفتين في الجهة الشمالية منها. رصفت أرضياتها جميعاً بالفسيفساء الملونة، تفصل الأرضيات الدعامات والأقواس التي لم يبق منها شيء، فقد دمرت الجداران إلى دون مستوى الأساسات، ولكن تم الاستدلال عليها من خلال حواف إطارات الفسيفساء أو حواف طبقة الإسمنت التي كانت توضع عليها الفسيفساء (Baramki, 1936, 82; Augustinovic, 1951, 84).

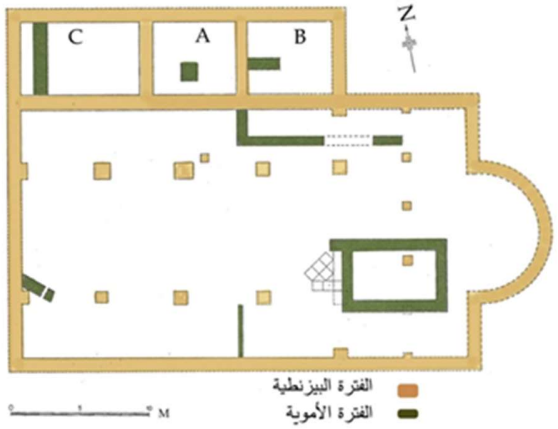

شكل (٥) مسقط أفقي لكنيسة تل الحسن (المصدر بتصرف عن: Baramki, 1936, Fig: 2)

وصف البقايا المعمارية والأثرية للكنيسة: الرواق الأوسط (صحن الكنيسة) Nave: ذات أرضية فسفسائية مدمرة، باستثناء جزء صغير منها عُثر عليه في الزاوية الجنوبية الشرقية، وهي تتكون من إطار فسيفسائي باللون الأبيض محدد بزخرفة فسيفسائية قوامها مثلثات سوداء، بالإضافة لصفين من الفسيفساء البيضاء والسوداء مرصوفة بشكل متناوب، تشكل الأرضية صفوف من زخرفة البراعم مرصوفة بشكل قطري باستخدام اللونين الأحمر والأسود، متقاطعة بزاوية قائمة على شكل الصليب المالطي Maltese crosses، وتشكل مربعات متتالية باستخدام الألوان الأسود والأحمر والأبيض(Baramki, 1936, 82). اما الممر الشمالي north aisles: فقد تكونت ضمت أرضيته الفسيفسائية زخارف قوامها زخارف البراعم، وتكوينات زخرفية هندسية، أيضا الممر الجنوبي south aisle: هو الآخر رصفت أرضيته بفسيفساء ملونة مقسمة لوحدات زخرفة تضم كل منها زخارف هندسية(Baramki, 1936, 82) أما ملحقات

الكنيسة فقد تم الكشف عن رواق Portico رقم: A وغرفتين في الجهة الشمالية للكنيسة، رصفت أرضية الرواق بفسيفساء بيضاء اللون، وكبيرة الحجم من المفترض أن الرواق كان يشكل حلقة الوصل ما بين الرواق الشمالي والغرفتين من خلال باب لم يبق منه شيء. الغرفة B: رصفت أرضيتها بالفسيفساء الملونة بزخارف متنوعة على شكل مربعات ومسننات، وكذلك دوائر متداخلة، يضم كل منها أربعة براعم على شكل صليب مالطي، أما الغرف C فتضم أرضيتها فسيفساء مزخرفة بالبراعم بألوان سوداء وحمراء، بالإضافة لزخارف مثلثة الشكل من اللون الأسود، تحيط بها ظفيرة a guilloche pattern مكونة من أربعة ألوان: الأسود والأحمر والبني والأبيض (Baramki, 1936, 84– 85) يمكن مقارنة فسيفساء الكنيسة في تل الحسن وبالتحديد الجزء المحصور بين الأعمدة والتي تتشابه مع فسيفساء كنيسة المهد في بيت لحم، والتي تعود بتاريخها ما بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وبالتالي يمكن الإفتراض أن كنيسة تل الحسن تعود بتاريخها على الأرجح لنفس فترة كنيسة المهد (Baramki, 1936, 88; Augustinovic, 1951, 84) وفي عام ٢٠١٢ كشفت التنقيبات الفلسطينية الأمريكية المشتركة (شكل: ٦) عن مبنى يضم ثلاث غرف على الأقل مع حوض صغير، ولكن المثير في الأمر هو العثور على كمية كبيرة من المسكوكات تعود بتاريخها للفترتين البيزنطية الإسلامية المبكرة، وقد كانت موجودة ضمن سياق سكني أو صناعي صغير، البقايا الفخارية تعود بتاريخها للفترة البيزنطية، جزء من سراج فخاري يرجع إلى النصف الأول من القرن السادس، عُثر على كسرة فخارية عليها كتابات بالخط الكوفي(Jennings, 2015, 56)، وتجدر الاشارة إلى المواد الأثرية ولا سيما المسكوكات والفخار تؤكد تلك المواد أن تل الحسن هو النواة الحضرية المركزية للمدينة البيزنطية، والذي يضم كنائس وسوق تجاري، وغيرها من المرافق والمنشأت الحيوية للمدينة في تلك الفترة.

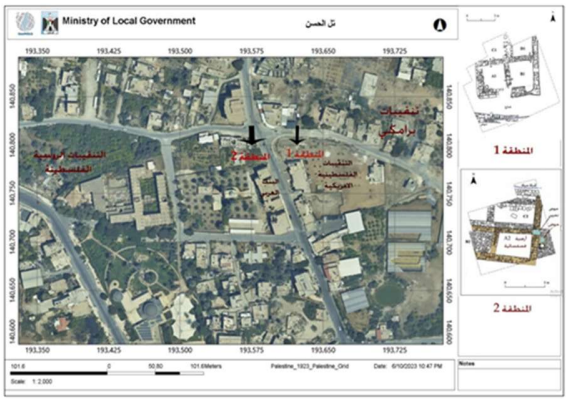

شكل (٦) التنقيبات الأثرية في تل الحسن (المصدر: جيومولوج- الحكم المحلي و Jennings, 2015)

٧- كنيسة خربة النتلة: تقع على بُعد ٣كم شرق أريحا، ترجع تسميتها نسبة لشجرة الآثل(النتل)، أظهرت التنقيبات التغيرات التي طرأت على الكنيسة، حيث مرت بعدة مراحل امتدت من الفترة البيزنطية وحتى الفترة العباسية، وهي على النحو التالي: المرحلة الأولى، حيث كانت الكنيسة عبارة عن كتدرائية ذات ثلاث ممرات، أزيلت غالبية جدارها و لم يبق إلا أساساتها المشيدة من الحجر الجيرى الناعم، تم الحصول عليه من خربة السمرا Kh. es- Samra، أما أرضياتها الفسيفسائية الملونة فكانت متهالكة لم يظهر منها إلا أجزاء بسيطة تضم زخارف مكونة من سلسلة من الأشكال الهندسية، السداسية والمربعات، تم تنفيذها باستخدم اللون

الأحمر والأزرق والأبيض، علاوة على وجود نقش مكون من ستة أسطر بالأحرف اليونانية الكبيرة، وتشير إلى أن الكنيسة قد بنيت في القرن الرابع أو الخامس الميلاديين، لكنها تعرضت للتدمير في القرن السادس، فُسر على أنه ناتج عن التمرد السامري الذي دمير العديد من الكنائس. المرحلة الثانية: تم تقليص حجمها لتشمل ممر واحد فقط، وذلك بسبب التراجع الاقصادي ومحدوية الدخل، مرت الكنيسة مرة أخرى بسبب الاحتلال الفارسي عام ٦١٤ على يد خسرو الثاني Choseros II. أعيد بناء الكنيسة في المرحلة الثالثة مباشرة بعد التخلص من الاحتلال الفارسي، ولأن أسلوب بنائها كان بسيطاً فقد بنيت أساساتها من حجارة الوادي وشيدت جدرانها من طوب اللبن أبعاده (٢٤×١٢) سم والمغشى بطبقة من الطين المخلوط بالحورlimy clay والقش. دمرت الكنسية بفعل الزلزال الذي ضرب فلسطين في نهاية الدولة الأموية، ربما أعيد بناؤها للمرة الرابعة في آواخر القرن الثامن عشر أو أوائل القرن التاسع عشر(Kelso & Baramki, 1955, 50- 52). وتعد كنيسة النتلة من أهم الكنائس من حيث قراءة المشهد التاريخي والسياسي على طرأ على واحة أريحا خلال الفترين البيزنطية والأموية.

٨- كنيسة انتيموس Antimos church: تقع على الحافة الشمالية الغربية لأريحا اليوم تل أبو هندي تم اكتشاف الموقع في أربعينيات القرن الماضي، والتي تعود ملكيته للأرشمندريت اليوناني أنتيموس، حيث قام المالك بعمل تنقيبات جزئية في الموقع أفضت بدورها عن أرضية فسيفسائية تضم زخارف هندسية وأشكال حيوانية وطيور(Augustinovic, 1951, 66)، يضم الجدار الجنوبي من الكنيسة قطعتين من الجص، طول إحداها متر والأخرى يزيد عن ذلك بقليل، وفي الجهة الشمالية للكنيسة يوجد باب يفضي إلى كنيسة صغيرة، وبسبب عدم الكشف عن الموقع بشكل كامل يبقى معرفة أبعادها بشكل دقيق من غير الممكن، ولكن تخطيطها يتكون من صحن أو الممر الاوسط وعلى طرفية ممرين جانبين تقريباً بعرض ٤ م لكل منهما، فالجزء الذي تم الكشف عنه أعطى مؤشراً قوياً بأن الكنيسة كانت أرضيتها مرصوفة بالفسيفساء الملونة بشكل كامل، بعض أجزاء الأرضية المكتشكفة يظهر فيها تلف وتدمير ولا سيما في الرواق الأوسط nave ما تبقي من زخارفها عبارة عن أمفورة تخرج منها لفائف الكرمة على شكل دوائر تضم كل دائرة شكل زخرفي لشكل طائر أو حيوان، وهذا النمط كان شائعاً في أرضيات الكنائس البيزنطية كفن مسيحي(Augustinovic, 1951, 68). ومن المواضيع الزخرفية الموجود في الكنيسة لوحة أبعادها ٦٥× ٥٦ سم تضم طائر المعروف باسم مالك الحزين وكذلك أوراق نبات اللوتس أو أوراق نبات البردي، وتقع اللوحة في الجهة الشمالية للرواق الأوسط، وكذلك شكل بطة رأسها للأعلى وملتفته للخلف، وشكل آخر لبطة مطأطئة رأسها للأسفل. علاوة على وجود لوحة تضم حيوان بقرون ونخلة كميزة وشعار ربما لأريحا كونها مدينة النخيل، أيضاً لوحة أبعادها ٤٠× ٣٥ سم، تضم سمكتين بشكل متعاكس تقع في الجهة الجنوبية للكنيسة. في كنيس ديوك نفس الاتجاه، متأثر بدائرة الأبراج الموجودة في الكُنس اليهودية، ولوحة أخرى تضم

صورة لإبن أوى يأكل العنب، عُثر أيضاً على نقش أبعاده ٢٠٥× ٧٥ سم يضم أربعة أسطر بالخط اليوناني، ونقش آخر يضم ثلاث أسماء متوفيين دانيال ومقاريوس ويوحنا، وهم ثلاث شمامشة وربما تعود الكنيسة بتاريخها للقرن السادس، ولكن لم يتم تحديد تاريخ الكنيسة بشكل دقيق، علاوة على ذلك فقد عُثر أيضاً على إبريق فخاري وكسر من الرخام عليها زخارف غائرة لصليب مالطي وبجانبه طائر البط المألوف في الأرضيات الفسيفسائية البيزنطية (Augustinovic, 1951, 67- 76).

٩- كنيسة القديس أندراوس: تم اكتشافها في ثلاثينيات القرن الماضي من قبل الأقباط، وهي تقع ضمن ممتلاكاتهم الكنسية في واد القلط في المنطقة الجنوبية الغربية لأريحا اليوم، وكانت جزء من دير له ملحقاته وصهريج وقنوات مائية، رصفت أرضية الكنيسة بالفسيفساءالبسيطة وغير المتقنة، ولكنها تضم أشكال زخرفية هندسية ونقشين بحالة جيدة. أحدها يقع على الجانب الغربي للكنيسة أبعاده (١.٧٠× ١)م مكون من ستة أسطر يبدأ السطر الأول بزخرفة على شكل زهرة ويضم أربعة أسماء فيذكر النص أن العسكري ماجينيانوس يشكر القديس اندراوس الذي بنى الكنيسة وصنع الفسيفساء ومباركة من ايريكلو Eraclio الكاهن وقسطنطين الشماس، ويذكر اسم بوليكرونيوس بدون مهنة، ربما يكون الفنان الذي نفذ العمل في الكنيسة (Augustinovic, 1951, 77- 83)

١٠- كنيس تل الجرن: يقع على بعد كليومترين شمال شرق تل السلطان، عام ١٩٣٦ قام ديمتري برامكي بالتنقيب في موقع تل الجرن، أفضت التنقيبات الكشف عن بقايا كنيس أبعاده ١٣× ١٠م، يعود للفترة البيزنطية، ويتكون من صحن أوسط وممرين جانبين يفصل بينهما سربين من الأعمدة ذات القواعد المربعة، وتتجه الحنية نحو الجنوبي الغربي في اتجاه القدس، رصفت أرضية الكنيس بالفسيفساء الملونة، وتضم زخارف هندسية مثل المربعات والمعينات والدوائر وغيرها، ونباتية منمقة، كالبراعم، والكرمة، والرمان، وورق اللباب ivy leaves ونقوش فسيفسائية وجدت بالقرب من المدخل، حيث عُثر على نقش مكون من ستة أسطر باللغة الآرامية ويتضمن النص تخليدا وذكرى للأبد للجماعة المقدسة صغارا وكبارا الذين أعانهم رب الكون على صنع الفسيفساء، لتخلد أسمائهم في سفر الخلود مع الأتقياء...، وعُثر أيضاً على ثلاث أوانٍ زجاجية، وأجزاء من مصابيح برونزية، تعود بتاريخها للقرن الخامس والسابع الميلاديين، إلى جانب العثور على ٩ قطع أموية بين أنقاض الكنيس، وتشير إلى أن الكنيس كان مستخدم خلال القرن الثامن الميلادي، واقترح برامكي أن الكنيس قد بُني في تلك الفترة (Baramki.1938. 73- 76)، بينما يرجح Foerster لربما بُني في نهاية القرن السادس أو القرن السابع الميلادي (Foerster. 1993. 695- 696). يكاد يمون الكنيس الوحيد في واحة أريحا والذي يعود ما بين نهاية الفترة البيزنطية والفترة الأموية، ولربما يكون مرتبط باليهود الذين أجلاهم عمر بن الخطاب من خيبر في أرض الحجاز إلى أريحا بفلسطين (الواقدي: ١٩٩٤، ٦٥٤- ٦٥٥).

٥- سمات العمارة والحُلى المعمارية الدينية في واحة أريحا: من خلال عرض المواقع السابقة يمكن تقسم العمارة الدينية لعدة

أقسام، وهي عمارة وتخطيط الأديرة، وهي نمطين، النمط الأول: أديرة تطورت مع تطور ونشأت المسيحية من كهف منعزل إلى دير وقد تمثلت في الأديرة الصخرية كما هو الحال في دير القرنطل ودير القلط. النمط الثاني أديرة أسست في القرن الرابع في أمكان مفتوحة وذات تخطيط وعمارة تختلف تماما عن النمط الأول، عبارة عن مبنى واسع يضم كنيسة أو أكثر مع وجود غرف جدماتية خاص بالرهبان، أما الكنائس فكان جلها يتبع التخطيط البازيليكي Basilica، ويقوم التخطيط على شكل مستطيل يقسم إلى صحن الكنيسة ويضم ثلاث اجنحة يتقدمها حينة أو ثلاث حنيات. وهذا النمط سائد بشكل في كافة الكنائس في تلك الحقبة، بمعنى أنه تخطيط شائع، ولكن العمارة ذات سمات محلية، وفيما يتعلق بالحُلى المعمارية وخاصة الأرضيات الفسيفسائية، فقد ضمن زخارف هندسية ونباتية، بالاضافة لزخارف ضمت أشكال حيوانية وطيور، وبعض الأرضيات ضمت كتابات باليونانية في الكنائس، بينما في الكنيس كتابات آرامية، وهذا يعكس اللغات التي كانت سائدة بين مجتمع واحة أريحا في تلك الفترة.

٦- تراجع العمارة الدينية في واحة أريحا مطلع القرن السابع الميلادي: مع نهايات الفترة البيزنطية المتأخرة تعرضت أريحا لكثير من الكوارث والأزمات أدت بدورها إلى تراجع الاستيطان وهجران غالبية المواقع البيزنطية وأهم تلك الأحداث الصراعات الداخلية ذات المدلول الديني، أعقبها الغزو الفارسي عام ٦١٤م حيث ارتكبت أبشع المجازر من خلال اجتثاث البشر وحرق الكنائس والأديرة وتدمير المزروعات، وقد ساهم اليهود بشكل مباشر في عملية التدمير بالتعاون مع الجيش الفارسي، تم تهجير الكثير من المستوطنات والتجمعات البشرية والتي تضم المسيحيين بالدرجة الأولى، بعد عملية تحرير القدس من قبضة الفرس وعودة الصليب المقدس اليها، عاد المسحيين للانتقام من اليهود من خلال حرق وتدمير أماكن تواجدهم، وقد أجبر العديد منهم إلى ترك اعتناق الديانة اليهودية واعتناق الديانة المسيحية، تلا ذلك الزلزال المدمر عام ٦٣١م حيث كان مركزه منطقة البحر الميت، واستمرت ارتدادات الزلزال شهراً كاملا، فدمرت البيوت والكنائس والأديرة ودمرت القنوات والقناطر الحاملة لها، بالتالي هجرت العديد من أماكن الاستيطان في أريحا، وانتشر أيضاً القحط والطاعون، علاوة على ذلك هجمات البدو على المستوطنات الزراعية في أريحا لعبت دروراً في تراجع الاستيطان في الفترة البيزنطية (شوامرة، ٢٠١٨، ١٩). ويرى البعض أن هنالك عدة أمور ساهمت في تراجع تأييد أهل فلسطين للدولة البيزنطية، منها: ما نتج عن الحروب الساسانية من تدمير للمدن وللممتلكات وما رافقه من عمليات سلب ونهب، وزيادة الضرائب والمكوس والاتاوات على السكان بهدف تغطية النفقات، إضافة لنقل الرجال من فلسطين إلى ساحات المعارك، في المقابل لقي العرب الفاتحون نوعاً من الترحيب من أهل فلسطين وبشكل متفاوت بين منطقة وأخرى، لا شك أن العقود الأخيرة قد شكلت للدولة البيزنطية في فلسطين فترة انتقال مهدت البلاد وأهلها نفسياً لتقبل العرب الفاتحين، فهم على ثقة وتواصل مع أهل فلسطين تربطهم العلاقات التجارية والقرابة، وبالتالي لم يجد الفاتحون

أي صعوبة في التحدث والتواصل مع أهل فلسطين (زيادة، ١٩٩٠، ٢٤٣).

أصبحت واحة أريحا خاوية على عروشها، فلم تعد الأيرة والكنائس كما كانت، حيث هجرت غالبيتها الساحقة و لم يبق إلا بضع منها استخدم للأغراض الدينية كما هو الحال في كنيسة خربة النتلة وكنيسة بالقرب عين السلطان ولربما دير القرنطل ودير القلط وذلك في الفترة الأموية.

*** الخاتمة**

خلصت الدراسة إلى أن العمارة الدينية في واحة أريحا خلال الفترة البيزنطية قد ساهمت في تعزيز الهوية المسيحية بالمنطقة وربطها بمسارات الحج المسيحي المقدس حيث ضمت الواحة أماكن ارتبطت بحياة المسيح كدير القرنطل وشجرة زكا العشار ولقرب أريحا من المغطس في نهر الأردن. إلى جانب ذلك فقد أظهرت تلك العمارة الانسجام والتناغم ما بين بساطة الرهبانية والفخامة المعمارية والفنية، اضافة إلى أن الكنائس والأديرة شكلت شبكة واسعة ربطت واحة أريحا بالمشهد الديني لفلسطين خلال الفترة البيزنطية. بينت الدراسة أيضا أن المشهد الديني في واحة أريحا خلال الفترة البيزنطية كان متنوعا إذ لم تقتصر العمارة على الكنائس والأديرة المسيحية بل شملت أيضا كنيس يهودي وكان التعايش بين الرموز المسيحية واليهودية يعكس البعد الحضاري والإنساني لأريحا في تلك الفترة. فالعمارة الدينية في واحة أريحا لم تكن مجرد مبانٍ طقسية، بل شكلت منظومة عمرانية متكاملة حملت في طياتها أبعادا دينية واجتماعية واقتصادية، وارتبطت بالبيئة الزراعية بالواحة ووفرت فضاءات للرهبنة والحج، واسهمت في تشكيل هوية أريحا كمركز ديني هام، علاوة على أن الزخارف الفنية وفي مقدمتها الفسيفساء والتي عكست التفاعل ما بين الفن المحلي مع التيارات الفنية البيزنطية الأخرى.

توصي الدراسة بمزيد من الحفريات الأثرية للكشف عن معالم جديدة، وتعزيز جهود الترميم والحفاظ على المواقع المكتشفة.

*** المراجع**

اولاً- المراجع العربية

أبو الرب، هاني. (٢٠٠٢). تاريخ فلسطين في صدر الإسلام. الطبعة الأولى. بيت المقدس للنشر والتوزيع.

جبارة، ميساء محمد(٢٠١٥). " تطوير تقنيات البناء بالطين – حالة دراسية أريحا" رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الهندسة. جامعة النجاح الوطنية. نابلس.

حمودة، أحمد عبد الرحمن، وآخرون (١٩٩٠). موسوعة المدن الفلسطينية. الطبعة الأولى. دائرة الثقافة. منظمة التحرير الفلسطينية.

زيادة، نقولا. (١٩٩١). فلسطين من الاسكندر إلى الفتح العربي الإسلامي، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات التاريخية، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، بيروت.

شوامرة، عوني محمد. (٢٠١٨). التطور العمراني لمدينة أريحا عبر العصور. "مجلة التراث والمجتمع" جمعية إنعاش الأسرة. العدد: ٦١، فلسطين: البيرة.

عثامنه، خليل.(٢٠٠٠). فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الفرنجي (٦٣٤-١٠٩٩). مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد. (ت:٢٠٧ ه) (١٩٨٤). كتاب المغازي، تحقيق الدكتور مَارسدْن جُونس. الجزء الثاني. الطبعة الثالثة. عالم والكتب.

ثانياً- المراجع الأجنبية

Augustinovic, A. (1951). Gerico e dintorni. Jerusalem: Tipografia dei PP. Francescani.

Bagatti, Bellarmino . (2002). Ancient Christian Villages of Samaria, Studium Biblicum Franciscanum Collectio minor (Jerusalem: Franciscan Printing Press,

Bar, Doron. (2004). "Population, Settlement and Economy in Late Roman Byzantine Palestine (70-641 Ad)." Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London 67, no. 3: 307-20.

Baramki, D. C. (1936). "An Early Byzantine Basilica at Tell Ḥassān, Jericho." Quarterly of the Department of Antiquities of Palestine 5: 82-9.

Baramki, D. C. (1938). "An Early Byzantine Synagogue near Tell es-Sultan, Jericho", in Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine 6 (1938), pp. 73-76.

Bliss, F.J. (1894). "Notes on the Plain of Jericho. PEQ. Vol. 26: 177-181.

Bouchaim, Julie (editor). (1999). Endangered Cultural Heritage Sites in The West Bank Governorates. Ministry of Planning and International Cooperation. Palestine

Bromiley, G.W. (1995). The International Standard Bible Encyclopedia: E-J. Wm. B. Eerdmans Publishing.

Conder, C. C, & H. H. Kitchener. (1883). The Survey of Western Palestine: Memoirs of the Topography, Orography, Hydrography, and Archaeology. Vol. III. Sheets XVII-XXVI. Judea, London.

Foerster, Gideon. (1993). The Synagogue at Tell es- Sultan. The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land. V. II, 695-696. Jerusalem: Simon &Schuster.

Guérin, V. H. (1874). Description géographique, historique et archéologique de la Palestine I: Samaria, Paris.

Temple to the Muslim conquest. Cambridge university press.

Palestine Pilgrims' Text Society (London England). (1897). The Library of the Palestine Pilgrims' Text Society. 36 vols. London.

Ring, Trudy et al. (1994). International Dictionary of Historic Places. Taylor & Francis.

Schreiber et al. (1917). The Shengold Jewish Encyclopedia. Schreiber Publications. 2003.

Sharon. M. (2004). Corpus Inscriptionum Arabicarum Palaestinae (CIAP).: A. Vol. I. Brill. Leiden. New York.

Strabo. The Geography of Strabo" English translation: Horace Leonder) Vol . II .London. William Heinmannl + Jones. New York. G. P. Putmam's Sons.

Taha, Hamdan. (2011). "Archaeological Excavations in Jericho, 1995 -2010," in Padis I: Archaeological Heritage in the Jericho Oasis: A Systematic Catalogue of Archaeological Sites for the Sake of Their Protection and Cultural Valorisation, ed. Lorenzo Nigro, Maura Sala, and Hamdan Taha,

Hirschfeld, Y. (1993). Ancient churches Reflated. Israel Exploration Society. Jerusalem.

Hirschfeld. Y. (1990). List of the Monasteries of the Judean Desert", in G.C. BottiniI - L. Di Segni - E. Alliata (eds.).0 Christian Archeology in the Holy Land - New Discoveries. Essays in Honor of Virgilio C. Corbo, OFM (Studium Biblicum Franciscanum, Collectio Maior 36). Jerusalem.

Jennings, Michael Dean. (2015). Beyond the Wall of Jericho: Khirbet Al- Mafjar and Signature Landscapes of The Jericho Palin. Chicago. Illinois.

Kelso, J. L. & Baramki, D. C. (eds). (1955). Excavations at New Testament Jericho and Khirbet en-Nitla (Annual of the American Schools of Oriental Research 29-30, 1949-1951), New Haven.

Magness, Jodi. (1993). Jerusalem Ceramic Chronology: Circa 200-800 CE. JSOT/ASOR Monograph Series. Sheffield: JSOT Press.

Magness, Jodi. (2012). The Archaeology of The Holy Land from Destruction of Salomon’s

Rome La Sapienza Studies on the archaeology of Palestine & Transjordan (Rome: La Sapienza Expedition to Palestine & Jordan).

Wilkinson, John. (2002). Jerusalem Pilgrims before the Crusades, 2nd ed. (Warminster. England: Aris & Phillips.

Zbigniew T. Fiema. (2006). "City and Countryside in Byzantine Palestine. Prosperity in Question." in Settlements and Demography in the Near East in Late Antiquity: Proceedings of the Colloquium. Matera, 27-29 October 2005, ed. Ariel S. Lewin and Pietrina Pellegrini (Pisa; Roma: Istituti editoriali e poligrafici internazionali.